" أبا الطيب ":

صبغة أدبية منحك إياها المعطي بغير حساب -(سبحانه وتعالى)...- فجابت بك طول الزمان بكل مكان،!..

- فسرت نحوك لا ألوي على أحدٍ أحثّ .. راحلتيّ: الفقر.. والأدبا -

فالحِكم التي اعتصرتك التجارب لتزفرها لنا قريحتك أصبحت أمثالاً تُحتذى، ومعانيَ تُنتقى..، فلا حديث يخلو من شعرك "إلا ما شاء الله"، ولا منتدى يفيض بالكلم دون استشهاد من أثرك "إلا ما شاء الله":

ما نال أهل الجاهلية كلهم شعري،.. ولا سمعت بسحري بابل

ويقول لسيف الدولة -.. كأنه يوازي بين شخص الأمير بالإمارة، ونفسه بالشعر -:

إنّ هذا الشّعر في الشعر ملك ..سار، فهو الشمس والدنيا فلك

عدل الرحمن فيه بيننا فقضى باللفظ لي، والحمد لك[1]

---

[1] ...وانظر ما يأتي هامش (١) ص٥٩.

obeikandl.com

و.."العبقرية":

هل المتنبي عبقري؟

للإجابة على هذا السؤال../ أولاً يجدر بنا أن نُعرّف بالعبقرية لنقيس على ذلك بإذن الله..

فـ: العبقري[1] يعني: الحاد الذكاء.

وهي في أبسط إيضاح لها: (ترجمة الطاقات إلى إبداع وإنتاج فكري).

..ومتى تولد العبقرية؟

إن.. الأحداث - كما نعرف - مرعى للتزاوج بين الإنتاج الفكري والطاقات.

وهذا - أي التزاوج - فرصة لمن يملك التعبير عن هذه الأحداث ليترجمها. مثلاً:

الخنساء "رضي الله عنها" وجدت الأحداث.. وفاة أخويها - وبخاصة صخر -

---

[1] وقد أُخذ الاسم من وادٍ في الجزيرة العربية، يدعى (وادي عبقر)، يعتقد الجاهليون أن الجن[*] يسكنه.

- [*] للفائدة / قال أبو عبد الرحمن بن عقيل: ورد في حديث حسن - على أقل تقدير - أخرجه ابن أبي عاصم، أن الجن ثلاث أصناف: منهم من يطير في السماء، ومنهم من يرحل ويظعن، ومنهم حيات وعقارب -

(والشيء بالشيء.. يُذكر) - كما يقول "ابن نباتة المصري" -: فقد قيل أن شيطانه يدعى "حارثة بن المُعَلِّس".

..وهي طاقة[1] "شعرية"، فمراثيها إنتاج فكري مُعبّر عن "الحدث" مقتل أخويها.

فالأحداث عند المتنبي: فساد السياسة والاقتصاد بزمنه، وتحوّل الإمارة والخلافة "الفعلية" إلى أيدي الموالي والفرس والأتراك. بعد أن كانت بأيدي "العرب".

و..حدثٌ أعظم/ وهو المجد والعُلا اللذان خاضا بالمتنبي أوعر الطرق..

حتى انتهيا به إلى سراب الواقع:

ماذا لقيت من الدنيا.. وأعجبه أني بما أنا شاكٍ منه محسود

..أمسيت أروح مُثرٍ خازناً ويداً أنا الغنيُّ وأموالي "المواعيد"

.. والمتنبي طاقة شعرية لا يُستهان بها -البتّه- فواحدة من تلك الأحداث جديرة بتفجير مكنون هذه الطاقة، فما البال وتلك الأحداث جرت على من أعطاه "الوهاب" هذه "الملكة" التي ورّثت للأدب "حِكماً" وشواهد ملحمية وتعبيراً عن الذات بلغ مُنتهى الرُّقي.

عبرّ عن ذلك ابن رشيق القيرواني "صاحب كتاب العمدة" بكلمة مشهورة فيه: "ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس".[2]

---

[1] كقولها - إبداعاً:

يُذكّرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمسِ

- أي أذكره في أوّل النهار.. للغاره، وفي آخره للضيفان -

[2] "وطبيعي انه لم يشغل الناس على غير طائل..!" كما يُعقّب أنيس المقدسي -صاحب (أمراء الشعر العباسي) - على كلمة ابن رشيق..

ملأها فعلاً ../ فلم يحظَ شعرٌ عربي من الشهرة ما ناله "شعر المتنبي"[1]!

..فهو بعيد الأثر في حلقات الأدب، شائع بين جميع الطبقات، ليس حظّه بعصره[2] بأقل من حظّه اليوم..

وشغلهم../ فلم ينل شاعرٌ من البحث.. والدراية.. والاقتصاء - عنه وعن حياته وسيرته - كمثله.[3]

إذاً العبقرية -باختصار- هي/ الطاقة المترجمة للأحداث.

---

[1] ..انظر لـ (طلائع المراجع) ما بعد الفهرس.

[2] يُذكر أن الصاحب ابن عباد - حين أبى المتنبي مدحه.. - قال:

لا يُسمعني أحدٌ شعر المتنبي إلا قتلته!

ولّما توفيت أخت الصاحب.. أتته ستون رسالة "عزاء" مُصدّره بـ:

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر ... فزعته فيه بآمالي إلى الكذبِ

حتى إذا لم أجد من صدقه بدلاً ... شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

فسأل لمن - البيتين -؟ فقيل له لـ "المتنبي"، فقال هذا كالشمس انتشر فأنشدوا شعره.

و..روي أن رحلاً كان من شدة بغضه، يسأل عنه في كل بلد -يود الإقامة فيها-، حتى سئل عنه في بلدٍ فقالوا لا نعرفه فأقام، وما إن ذهب لخطبة الجمعة، حتى سمع الإمام يقول في الثناء على أسماء الله الحسنى:

أسماءٌ لم تزدنا فيه معرفة ... وإنما لذّة ذكراها

والبيت للمتنبي في مدح (عضد الدولة)،.. فارتحل.

[3] قال عباس العقاد - رحمه الله-:

إذا وجدت الناس اختلفوا على شخص ما..، فهو دليل على مكانته، أو مآثره.

(وقال أيضاً/ - حين تكلم عن عبقرية علي رضي الله عنه -: من مؤشرات العبقرية اختلاف الناس حولها).

وعلى ذلك يكون المتنبي ليس عبقرياً فقط..!، بل عبقرياً فـذّاً[1]. ولّـدت لنا منه هذه العبقرية: شاعراً حكيماً.[2] وتحدّر -إلينا- منها مـيراثٌ أدبـيٌ خالد.[3]

..."مَن المطالب القتيل القـاتل"؟!..

وهو مع هذا كـ / لغز/ أحـار مـن ترجـم حياتـه، وتنـاول أدبـه وشـرح ديوانه،.. لغـزٌ أبقـى للحـيرة [4] مكانـاً تتسـلى بـه في عقـول الأدبـاء،[5] وتلعب بعواطف الأفئدة بتقلب الأحداث!

---

[1] ومما قال الشاعر يحيى توفيق حسن - من مادته "الذات الشاعرة" -:

ثم جاء العبقري المتنبي الذي سـار مـع طبعـه وفطرتـه: فجـاء شـعره في أكـثره مطبوعـاً لا تكلف فيه إلا في القليل الذي اضطر إليه اضطراراً.

- وما اضطرّ إليه (قصيدته) التي تسببت في مقتله، انظر ما يأتي ص٤٥ هامش (٣) -

[2] .. لّما سُئل عن نفسه وأبي تمام والبحتري؟

قال: أنا وأبو تمام حكيمان..، أما البحتري فهو الشاعر

[3] قال عمر فاخوري:

الشاعر "العبقري" يتوجّه بـ/ شـعره إلى جميـع الأحيـال، ويخـاطب كـل جيـل بلسـانه..، كاشفاً للجميع عن آفاق.. بعد آفاق..، - الفصول الأربعة ص ١٠١ -

[4] هل قصد ذلك.. هنا السؤال؟!، قال (فردرك نيتشه):

يحظى الشيء الغامضُ وغيرُ المفسّر.. بأهمية أكبر من التي يحظى بها الشيء الواضح المفسّر!

- قال الشافعي رحمه الله:

أمـا تـرى الأُسـد تُخشـى، وهـي صامتـة والكلـب يَخشـى وهـو لعمـري نبـاح -

[5] قال الجرجاني - صاحب الوساطة - :

".. ما زلت أرى أهـل الأدب في أبي الطيـب فئتين، مـن مُطنـب في تقريظـه.. وعـائب يـروم إزالته.. وكلا الفريقين إما ظالمٌ له أو للأدب فيه، ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بـين -...

- وتركُك في الدّنيا دوياً كأنّما تداول سمع المرءِ أنمُلَه العَشرُ[1] -

---

...-

تفريط المقصر، وإسراف المفرط، ..وقد جعل الله لكل شيء قدراً".

ويحضرني - هنا - قول (كورتو) في.. "لمحات في فن القيادة":

"هناك طريقتان للحياة: طريقة سلبية قائمة على رؤية مساوئ الرجال والأعمال، ترى الأخطاء ليس لإصلاحها بل لاستغلالها بشكل هدام والعودة إليها بمناسبة وبدون مناسبة، وطريقة أخرى تنظر إلى الأمور بعين الرضا وتبحث عن محاسن الرجال لتنميتها وتحسينها، وترحم ضعفهم وأخطاءهم وتعمل على صلاحها".

[1] يقول العكبري - أبي البقاء (ت٦١٦هـ)[*] - عن هذا لبيت: الدوي: الصوت العظيم، يسمع من الريح، وحفيف الأشجار، والمعنى: يقول: اترك في الدنيا جلبة وصياحاً عظيماً.

- [*] ..وقد فنّد العلامة (مصطفى جواد) - ت١٩٦٩م رحمه الله - صحة الشرح له، ونسبه إلى أبي عبد الله الحسين الأربلي (ت٦٥٦هـ)، كما أورد ذلك عبد الله الهدلق في بحث مطوّل... صحيفة (الرياض عدد/ ١٢٠٦٥) -

obeikandl.com